عمره وبعد محن كثيرة وخيبات أمل عديدة، أصبح كبير أمناء مدينة /تشون ـ تو/.

وتقول الإسطورة إن إدارته وعدالته كانتا تنمان عن نزاهة كبيرة بحيث أن أمراء الجوار اتخذوه قدوة. وفي الثالثة والخمسين من عمره أصبح وزيراً للخارجية وفيما بعد وزيراً للعدل. وفي السادسة والخمسين أصبح رئيس حكومة. لقد امتد نفوذه وتبين أن اصلاحاته كانت مثمرة..

لقد قلقت الدول المجاورة، خشي ملك دولة /تسي/ المجاورة أن تتفوق دولة /لو/ في ظل إدارة /كنفوشيوس/ على جميع الدول المجاورة. وكشرقي خدوم، أرسل الملك للدوق /تينغ/ ثمانين موسيقية وراقصة ومئة وعشرين حصاناً غالية الثمن، وخلال الأيام الثلاثة الأولى رفض الدوق استقبالهن وأهمل الشؤون العامة.. وأخيراً انهزمت الحكمة والجمال، ولم تعد عيون وآذان الدوق والبلاط متجهة إلا للموسيقيات. لقد زعزع هذا المثل الشعب الذي تعلم من المعلم /قونغ/ أن يتبع دروب التقشف والفضيلة.

لم يعد أمام /كنفوشيوس/ سوى التخلي عن مهامه ومغادرة البلاد حيث الحواس الغريزية انتصرت على الحكمة.

رباع وخُرف:

مثل /دانته/، قضى كنفوشيوس بقية حياته يتوه من بلد إلى آخر عبر أرجاء الصين عارضاً خدماته كمصلح. أحياناً، كان يُستقبل لبعض الوقت ثم يطرد إن لم يُزج في السجن. وفي كل مكان كان يمر به، كان كنفوشيوس يعلم مذهبه ويجمع المريدين. ولقد بلغ عددهم ثلاثة آلاف مريد. وبعد أربعة عشر عاماً من المنفى. استدعى الـ/لو/ ولكن لم يعرض عليه أية وظيفة عامة. عندئذ نظم مدرسة ليعلم فيها مذهبه للعديد من المتعلمين الذين جذبتهم شهرته. كان عمره ستة وستين عاماً.

لانعرف بالضبط ماهي الكتب، من بين الكتب التي تنسبها التقاليد إليه، التي كتبها بنفسه. لقد جمع كتب الـ/كينغ/ الخمسة التي سندرسها عن كثب في الفصل التالي. وربما يكون الكتاب الخامس /حوليات رباع وخرف دولة /لو/ من تأليفه ويروي فيه تاريخ الصين من عام ٧٢٢ إلى عام ٤٨١ قبل الميلاد. ولكتابة هذا المؤلف، أرسل كنفوشيوس أربعة عشر من مريده عبر الصين بمهمة جمع ودراسة الكتب المقدسة لمئة وعشرين شعباً.